

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ 1442/5/30

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ خُلُقَ الصِّدْقِ فِي الإِسْلَامِ عَظِيمٌ. فَمَنْزِلَةُ الصَّادِقِينَ تَأْتِي بَعْدَ مَنْزِلَةِ النَّبِيِّينَ، الَّذِينَ هُمْ أَفْضَلُ الْبَشَرِ عَلَى الإِطْلَاقِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٦﴾﴾.

لَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِمَامَ الصَّادِقِينَ، حَتَّى كَانَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ يُلَقَّبُونَهُ قَبْلَ الْبِعْثَةِ بِالصَّادِقِ الأَمِينِ، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾، صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصِّفَاءِ، فَجَعَلَ يُنَادِي: «يَا بَنِي فَهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ» لِبُطُونِ قُرَيْشٍ، حَتَّى اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنتُمْ مُصَدِّقِي؟» قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلاَّ صِدْقًا، قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرِ الأَيُّومِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَزَلَّتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾﴾.

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ: إِنَّ التَّخَلُّقَ بِالصِّدْقِ صَعْبٌ إِلاَّ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، قَالَ العَلَّامَةُ ابْنُ القَيِّمِ رَضِيَ اللهُ فِي «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ»: حِمْلُ الصِّدْقِ كَحِمْلِ الجِبَالِ الرَّوَاسِي، لا يُطِيقُهُ إِلاَّ أَصْحَابُ العَزَائِمِ، فَهَمُّ يَتَقَلَّبُونَ تَحْتَهُ تَقَلَّبَ الحَامِلِ بِحِمْلِهِ الثَّقِيلِ. وَالرِّيَاءُ وَالْكَذِبُ خَفِيفٌ كَالرِّيشَةِ، لا يَجِدُ لَهُ صَاحِبُهُ ثِقَلًا البَتَّةَ، فَهُوَ حَامِلٌ لَهُ فِي أَيِّ مَوْضِعٍ اتَّقَى، بِلا تَعَبٍ وَلا مَشَقَّةٍ وَلا كُفْلَةٍ، فَهُوَ لا يَتَقَلَّبُ تَحْتَ حِمْلِهِ، وَلا يَجِدُ ثِقَلَهُ.

وَمَعَ ذَلِكَ فَلِلصِّدْقِ فَضَائِلٌ عَظِيمَةٌ فِي شَرِيعَةِ اللهِ تَعَالَى، وَمِنْهَا:

الأولى: الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ. أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «عَلَيْكُمْ بِالصَّدَقِ، فَإِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصَّدَقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا».

الثانية: الصَّدَقُ مَنجَاةٌ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالْمَصَائِبِ. عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «بَيْنَمَا ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَمْشُونَ، إِذْ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ، فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ، فَانْطَبَقَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّهُ وَاللَّهِ يَا هَؤُلَاءِ، لَا يُنْجِيكُمْ إِلَّا الصَّدَقُ، فَلِيدِعْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ، [فَدَعَا كُلُّ مِنْهُمْ بِعَمَلٍ صَدَقَ فِيهِ]، فَفَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَخَرَجُوا».

بِالصَّدَقِ يَنْجُو الْفَتَى مِنْ كُلِّ مُعْضِلَةٍ وَالْكَذِبُ يُزِرِي بِأَقْوَامٍ وَإِنْ سَادُوا

وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ، عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ لَمَّا تَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَبَعْدَمَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ: « يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا أَنْجَانِي بِالصَّدَقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيْتُ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ أَنْ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى يَوْمِي هَذَا أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي اللَّهُ بِهِ، وَاللَّهِ مَا تَعَمَّدْتُ كَذِبَةً مُنْذُ قُلْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى يَوْمِي هَذَا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا بَقِيَ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عز وجل: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ ﴿١١٨﴾ حَتَّىٰ بَلَغَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾، قَالَ كَعْبٌ: وَاللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ، بَعْدَ إِذْ هَدَانِي اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي رَسُولَ

اللَّهُ ﷺ، أَنْ لَا أَكُونَ كَذْبَتُهُ، فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا».

الثالثة: الصدق في البيع والشراء سبب في البركة. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ، عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيْنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَ بَرَكَتُهُ بَيْعِهِمَا».

الرابعة: لا يضرك ما فاتك من الدنيا إذا كنت صادقاً. أَخْرَجَ أَحْمَدُ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيكَ فَلَا عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا: حِفْظُ أَمَانَةٍ، وَصِدْقُ حَدِيثٍ، وَحُسْنُ خَلِيقَةٍ، وَعِفَّةٌ فِي طُعْمَةٍ».

الخامسة: الصدق سبب في طمأنينة القلب، أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ أَحْمَدُ شَاكِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ أَبِي الْحَوْرَاءِ السَّعْدِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: مَا حَفِظْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «دَعُ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ؛ فَإِنَّ الصَّدَقَ طُمَأْنِينَةٌ وَإِنَّ الكَذِبَ رِيبةٌ».

السادسة: الصادق لا يخذه الله أبداً، أَخْرَجَ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا رَجَعَ إِلَى خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يَرْجِفُ فُؤَادَهُ، فَدَخَلَ فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَزَمَّلَ، فَلَمَّا سُرِّي عَنْهُ قَالَ: يَا خَدِيجَةُ، لَقَدْ أَشْفَقْتُ عَلَى نَفْسِي بَلَاءً، لَقَدْ أَشْفَقْتُ عَلَى نَفْسِي بَلَاءً، فَقَالَتْ: «أَبْشِرْ، فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ».

السابعة: الصدق سبب لاستجابة الدعاء. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ، عَنْ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ».

الثامنة: الصدق سبب لنيل رضوان الله، والخلود في جنته. قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ﴾

صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٦﴾.

عِبَادَ اللَّهِ: لَقَدْ أَنْتَى اللَّهُ ﷻ عَلَى أَنْبِيَائِهِ ﷺ بِالصِّدْقِ. فَأَنْتَى بِهِ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﷺ فَقَالَ: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾، وَأَنْتَى بِهِ عَلَى إِسْمَاعِيلَ ﷺ فَقَالَ: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ ﴿٥٧﴾، وَأَنْتَى بِهِ عَلَى إِدْرِيسَ ﷺ فَقَالَ: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ ﴿٥٨﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٩﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَقَدْ حَرَصَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى تَنْشِئَةِ الْأَطْفَالِ عَلَى الصِّدْقِ، أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ، وَحَسَنَهُ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: دَعَتْنِي أُمِّي يَوْمًا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَاعِدٌ فِي بَيْتِنَا، فَقَالَتْ: هَا تَعَالَ أُعْطِيكَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَمَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيهِ؟» قَالَتْ: أُعْطِيهِ تَمْرًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَا إِنَّكَ لَوْ لَمْ تُعْطِهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكَ كِذْبَةٌ».

عِبَادَ اللَّهِ: وَكَمَا أَنَّ الصِّدْقَ وَاجِبٌ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ، فَإِنَّهُ وَاجِبٌ أَيْضًا فِي النِّيَّاتِ وَالْمَقَاصِدِ. قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَمَا أَمْرًا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾.

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ فِي «صَيْدِ الْخَاطِرِ»: اللَّهُ ﷻ مَعَكَ عَلَى قَدْرِ صِدْقِ الطَّلَبِ، وَقُوَّةِ اللَّجْأِ، وَخَلْعِ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ، وَهُوَ الْمُؤَفَّقُ. اهـ

لَقَدْ أَخْبَرَنَا نَبِينَا ﷺ أَنَّ الْمَوَازِينَ سَتَنْقَلِبُ فِي سِنَوَاتٍ خَدَّاعَاتٍ، يُصَدِّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذِّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ. أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَةَ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سِنَوَاتٌ خَدَّاعَاتٌ، يُصَدِّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذِّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ»، قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: «الرَّجُلُ التَّافَهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ». وَهَذَا الْحَدِيثُ عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ النَّبُوَّةِ؛ فَقَدْ وَقَعَ مَا أَخْبَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَاحْذَرُوا هَؤُلَاءِ التَّافِهِينَ، وَمَا أَكْثَرَهُمْ فِي هَذَا الزَّمَنِ، لَا كَثَرَهُمُ اللَّهُ.